

## الأسلوب والأسلوبية وعناصر الأسلوب الأدبي من منظور القرآن الكريم

على حاجي خاني\*

### الملخص

يشمل الأسلوب في نظر القدماء والمعاصرين الناحيتين المعنوية واللفظية، كما أن هناك أنواعا مختلفة من الأسلوب عالجهما القدماء والمحدثون سواء في ذلك الغربيون والمسلمون. بالإضافة إلى ذلك فإن مفاهيم الأسلوب ومعانيه مختلفة في المنظور الغربي والإسلامي. فهناك العديد من التعاريف قدورد في الكتب المرتبطة بالموضوع، ولا يخفي أن للأسلوب عناصر مختلفة من منظور المدارس الغربية ومن المنظور الإسلامي. ولكن العناصر الإسلامية للأسلوب لم يتم التعريف بها من قبل بشكل واضح منهجي من خلال الآيات القرآنية المباركة.

يتناول هذا المقال الأسلوب الأدبي وعناصره وآراء القدماء في ذلك بالإضافة إلى الأسلوب ومعانيه من منظور المدارس الغربية المعاصرة وذكر الفوارق الرئيسة بين المواقف العلمانية والإسلامية فيما يتعلق بعناصر الأسلوب الأدبي، ومن جملتها الفطرة والنية والإيمان والتوحيد والعقل والعاطفة والشعور والموهبة والميول والرغبات وكذلك دور المسؤولية في هذا الأدب مستعينا بالمنهجين التوصيفي والتحليلي مع الاستشهاد بالآيات القرآنية كما تطلب الأمر ذلك.

الكلمات الدليلية: الأسلوب الأدبي، الأسلوبية، العناصر، الإسلامي، القرآن

الكريم.

\*. جامعة تربيت مدرس، طهران، إيران. (أستاذ مساعد). hajikhan1347@yahoo.com

التنقيح والمراجعة اللغوية: د. حسن شوندي

تاريخ القبول: ١٣٩١/١٠/٢٢هـ. ش

تاريخ الوصول: ١٣٩١/٦/٢٠هـ. ش

## المقدمة

استخدمت كلمة الأسلوب في الآداب العربية القديمة للدلالة على تناسق الشكل الأدبي، واتساقه، في كلام البلاغيين حول إعجاز القرآن الكريم، وأقدم من استخدم هذه اللفظة كان الباقلاني في كتابه المسمى بإعجاز القرآن. فقد أوضح أن لكل شاعر أوكاتب طريقة يعرف بها وتنسب إليه. ومثلما يتعرّف المرء على خط صاحبه إذا وضع بين خطوط عدة، فإن القارئ البصير بالشعر أو النثر يتعرّف على أسلوب صاحبه. (خليل، ١٩٩٧م: ٢٦)

وقد كثرت آراء القدماء من العلماء المسلمين حول الأسلوب من عبدالقاهر الجرجاني وابن خلدون وغيرهما من العلماء، كما أن هناك آراء متعددة حول الأسلوب عند العلماء الغربيين القدامى خاصة عند أرسطو، كما كثرت الآراء عند المعاصرين في موضوع الأسلوب. وقد تنوعت الأساليب، وذكرها الأدباء من جملتها الأسلوب البسيط والمعتدل والمجزل، كما أن هناك الأسلوب العام والأسلوب الفني وغيرها من الأساليب التي تناولتها الكتب المتعلقة بالأسلوب.

ولا يخفى أن هناك علاقة بين الأسلوب والأسلوبية إذ يرى البعض أن الأسلوبية هي علم الأسلوب، وهي دراسة النص ووصف طريقة الصياغة والتعبير وهي بذلك أحدث ما تمخضت عنه علوم اللغة في العصر الحديث. (أحمد سليمان، ١٩٩١م: ٩)

إن للأسلوب عناصر متعددة تختلف باختلاف رؤى الباحثين. فهي ليست واحدة عند العلمانيين والمسلمين.

يهدف هذا البحث إلى إظهار عناصر الأسلوب الأدبي الإسلامي من خلال الآيات القرآنية الكريمة التي تميّز الأسلوب الإسلامي عن غيره وهي كثيرة. حاول الباحث تسليط الضوء على أهمها بذكرها وتدعيم الفكرة بالآيات التي يفهم منها هذا الأمر. وقد سبق هذا البحث بعض الدراسات والبحوث التي تناولت جوانب من هذا الموضوع ومن جملتها كتاب "علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته" لصالح فضل، وكتاب "الأدب الإسلامي، إنسانيته وعالميته" لعدنان النحوي، وكتاب "الأسلوبية ونظرية النص" لإبراهيم خليل، ثم كتاب "الأسلوب، دراسة بلاغية لأصول الأساليب الأدبية" لأحمد

الشائب، وأخيراً مقالة تحت عنوان "الأسلوبية العربية والبلاغة العربية" لبندر مبارك السناني.

غير أن الباحث على الرغم من استفادته من هذه الدراسات فإنه حاول الربط بين الموضوع والقرآن الكريم من خلال الاستشهاد بآيات ووجدها مناسبة للفكرة التي أراد إثباتها كعنصر من عناصر الأسلوب الأدبي والمجال هذا مجال خصب يتطلب الكثير من البحوث والدراسات لإكمال المسيرة ووضع القواعد الثابتة للموضوع.

### الأسلوب لغة

الأسلوب في اللغة «الطريق ويقال سلكتُ أسلوب فلان في كذا: طريقته ومذهبه، والأسلوب طريقة الكاتب في كتابته، والأسلوب الفن. يقال: أخذنا في أساليب من القول: فنون متنوعة» (إبراهيم، عبدالحليم، عطية، خلف الله، ١٤٠٨ق: ١٤٤)

يقول ابن منظور في لسان العرب: «يقال للسطر من النخيل أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، قال: والأسلوب هو الطريق والوجه والمذهب. يُقال: أنتم في أسلوب سوءٍ ويجمع الأساليب. والأسلوب الطريق نأخذ فيه والأسلوب بالضم الفن. يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه، ويقال: إنَّ أنفه لفي أسلوب إذا كان متكبراً.» (ابن منظور، ج ٦، ١٩٨٨م: مادة سلب)

يقول صاحب القاموس المحيط: «الأسلوب: الطريق وعنق الأسد والشموخ في الأنف.» (الفيروزآبادي، ١٤١٩ق: مادة سلب)

وقد جاء في تاج العروس: «الأسلوب بالضم: الفن يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي أفانين منه. الأسلوب عنق الأسد، لأنها لا تُثنى.

ومن المجاز: الأسلوب الشموخ في الأنف، وأنَّ أنفه لفي أسلوب إذا كان متكبراً لا يلتفت يمينه ولا يسرة.» (الزبيدي، الحسيني، الغرباوى، ج ٣: ١٩٦٧ق: مادة سلب)

### الأسلوب اصطلاحاً

قد جعل عبد القاهر الجرجاني من كلام الباقلاني السابق عن الطريقة والأسلوب كلاماً علي النظم الذي هو أشمل وأعم دلالة من الأسلوب. ولكنه استعمل كلمة الأسلوب

في غير موضع، ويعرفه بقوله: «الأسلوب: الضرب من النظم والطريقة فيه.» (الجرجاني، ١٩٨١م: ٣٦١)

والجرجاني في هذا التعريف لا يتعد عن مفهومه للنظم، بل إنه يطابق بينهما بوصفهما ممثلين لإمكانية خلق التنوعات اللغوية القائمة على الاختيار الواعي، من حيث إمكانية هذه التنوعات في أن تصنع نسقا وترتبيا من خلال الاحتمالات النحوية القائمة في بنية الجملة، لأنّ توالي الألفاظ في النطق لا يصنع نسقا أبدا وإنما يصنع قصد المبدع إلى التأليفات بأسلوبها الذي يميزها، والذي يربط غالبا بالغرض العام من الكلام، فالأسلوب يقترن بالطريقة التي تألف عليها الكلام.

وفي الحقيقة تكلم عبد القاهر عن شيء آخر هو «النسق» و«الصورة»، وتحدّث بالتفصيل عن المجاز والاستعارة وتمثيل الحسيات، وأسلوب التقديم والتأخير، ومباحث الفصل والوصل، وتأثير كل من هذه الأساليب في الدلالة والمعنى. (خليل، ٢٠٠٢م: ١٣٨) أمّا ابن خلدون فيقول إن «الأسلوب هو عبارة عن المنوال الذي تتسج فيه التراكيب أو القالب الذي تفرغ فيه، وهو يرجع إلى الصورة التي ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها وهي الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي.» ثم يقول: «إنّ هذا المنوال أو القالب، بعد أن ينتزع صورته الصحيحة نحو وإعرابا وبيانا، هو يتسج بالحصول الوافي بمقصود الكلام و... فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه علي أنحاء مختلفة.» (ابن خلدون، ١٣٢٧ق: ٦٦٦)

يشير الزرقاني في كتابه «مناهل العرفان» إلى مفهوم الأسلوب في اصطلاح البلاغيين قائلا:

«هو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو هو العبارات اللفظية المنسقة لأداء المعاني، فأسلوب القرآن هو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه.» (الزرقاني، ج ٢: ١٤٠٨ق: ١٩٩)

يقول أحمد حسن الزيات «إنّ الأسلوب هو طريقة خلق الفكرة... وإبرازها في الصورة اللفظية المناسبة.» (الزيات، لاتا: ٦٢)

لكن أحمد الشايب فيحدده بأنه «طريقة التفكير والتصوير والتعبير.» (الشايب،

(١٩٤٥م: ٤٦)

وهكذا نرى أنّ الأسلوب في نظر القدماء والمعاصرين يشمل الناحيتين المعنوية واللفظية جميعاً.

### أنواع الأساليب

هناك أنواع مختلفة من الأساليب يعالجها القدماء والمحدثين. أمّا الغربيون منذ اليونان إلى اليوم فيميزون بين ثلاثة أنواع من الأساليب وهي:

١. الأسلوب البسيط أو السهل.

٢. الأسلوب المعتدل أو الوسيط.

٣. الأسلوب الجزل أو السامي.

وهو التقسيم الذي يربط هذه الأساليب بالموضوعات التي يعالجها الخطاب اللغوي وخاصة الخطاب الأدبي. ولذلك هم يقولون في الأسلوب الأول البسيط أو السهل، إنّه يصلح للرسائل والحوار، وفي الثاني المعتدل أو الوسيط، إنّه يصلح للتاريخ والملمهة، في حين أنّ الأسلوب الثالث، الجزل أو السامي يصلح للمأساة إلا أنّ هذا الرأي خلافى، بدليل أن الأنواع الأدبية الحديثة كالرواية والمسرحية الإجتماعية تستهلك عدة أساليب

تظل فيها ناجحة. (السنان، ٢٠٠٩م: [WWW.merbad.net/vb/showthread.php](http://WWW.merbad.net/vb/showthread.php))

وهناك تقسيم آخر خاص، بالنظر إلى الظواهر الأسلوبية والتحليل الدقيق لجزئيات العمل الأدبي واكتشاف العلاقات بين هذه الجزئيات، ويمكن علي ضوء ذلك تقسيم الأسلوب إلى ثلاثة أنواع:

١. الأسلوب العام.

٢. أسلوب العناصر الفنية.

٣. أسلوب النثر والشعر.

أمّا الأسلوب العام، فهو الذي يجمع بين العوامل والعناصر الفنية ليجرى بينهما التفاعل.

وأسلوب العناصر الفنية، هو الأسلوب الخاص ببناء كل عنصر وتحديد دوره.

وأسلوب النثر والشعر، يميّز بين أساليب النثر وأساليب الشعر وأساليب سائر الأجناس الأدبية، ذلك لأن للشعر أساليب خاصة متميزة من أساليب النثر. وأساليب الشعر يفرض تميّزها الوزن والقافية. فالوزن والقافية يتطلبان أسلوباً خاصاً، فتساق الألفاظ لتأخذ مكانها العادل في التعبير الفني، ولتساهم في إقامة الوزن الشعري وبناء القافية، وحركة الألفاظ هذه في رعاية الموهبة والعقيدة، تبنى تعبيرها الفني المتميّز، وتتفاعل مع الموضوع وسائر العناصر لتبني الأسلوب الشعري أو النثري. (النحوى، ١٩٩٩م: ٢٨٦-٢٨٧)

### الأسلوب ومعانيه من منظور المدارس الغربية المعاصرة

يشير الدكتور صلاح فضل إلى الجذور اللغوية لكلمة "أسلوب" في اللغات الأوروبية قائلاً: «لقد اشتقت كلمة "أسلوب" في اللغات الأوروبية المعروفة من الأصل اللاتيني "stilus" وهو يعني "ريشة" ثم انتقل عن طريق المجاز إلى مفاهيم تتعلق كلها بطريقة الكتابة؛ فارتبط أولاً بطريقة الكتابة اليدوية، دالاً على المخطوطات، ثم أخذ يُطلق على التعبيرات اللغوية الأدبية؛ فاستُخدم في العصر الروماني - في أيام خطيبهم الشهير "شيشيرون" - كاستعارة تشير إلى صفات اللغة المستعملة؛ لا من قِبَل الشعراء، بل من قبل الخطباء والبلغاء، وقد ظلت قذبة الطبيعة عالقة إلى حد ما بكلمة "style" حتى الآن في هذه اللغات إذ تنصرف أولاً إلى الخواص البلاغية المتعلقة بالكلام المنطوق.

ولما كانت الأعمال الأدبية تختلف أساساً عن الخطابة واللغة المنطوقة، فإن تعلق مفهوم الأسلوب بها يشير إلى بعض الخواص الكلامية فيها. ويرى بعض الباحثين أن اشتقاق الكلمة من أصل لاتيني - لا إغريقي - كما هي الحال في معظم المصطلحات البلاغية الأخرى له أهمية خاصة، فأرسطو مثلاً يستخدم «lexis» أي لغة أو كلمة مقابل "Taxis" أي "نظام" التي تترجم عادة بقول أو أسلوب، لكن كلمة "Stylos" تعني في اللغة الإغريقية "عموداً"، ومن هنا جاءت تسمية زاهد متصوف مثل "سيمون" "الأستيليتا" إذ كان يعيش على عمود قديم تقشفاً وزهداً. أما شكل كلمة "style" في اللغة الإنجليزية، بدلاً مما كان ينبغي أن تُكتب به "stil" فمبنى على أساس توهم الأصل الإغريقي،

لامطابقة الأصل اللاتيني الحقيقي كما يقول قاموس "أوكسفورد". (فضل، ١٩٩٨م: ٩٣) وهناك تعاريف مختلفة للأسلوب عند أصحاب المدارس المختلفة الغربية المعاصرة التي تدرس الأسلوب والأسلوبية معاً، حسب تصوراتها واعتقاداتها، وفيما يلي بعض هذه التعاريف:

يقول "شوبنهاور": «الأسلوب هو مظهر الفكر.» (عياشي، لاتا: ٣٤)  
يقول "فلوير": «الأسلوب وحده طريقة مطلقة لرؤية الأشياء ويُتصور الأسلوب بالأثر الذي يتركه.» (المصدر نفسه: ٣٥)

يقول "ستاروبنسكى": «الأسلوب إعتدال وتوازن بين ذاتية التجربة ومقتضيات التواصل، أو تجربة الاعتدال بين الأنا والجماعة، فيكون حلاً وسطاً بين الحدث الفردى والشعور الجماعى.» (المصدر نفسه: ١٤٧)

يقول "ريفاتير": «الأسلوب هو فُرادة النصّ.» (المصدر نفسه: ١٥٣)  
ويقول "بيرجيرو": «إن كلمة أسلوب إذا رُدّت إلى تعريفها الأصلي، فإنها طريقة للتعبير عن الفكر.» (المصدر نفسه: ٣٧)

ويقول "بوفون": «الأسلوب هو الرجل.» (المصدر نفسه: ٣٤)  
وأما الدكتور منذر عياشى مضافاً إلى هذه التعاريف للأسلوب، فيشير إلى تعاريف أخرى مطروحة من أصحاب هذه المدارس منها: «الأسلوب حدث لغوى من غير اتفاق.» (المصدر نفسه: ١٢٢)

«الأسلوب نظام لنصّ مخصوص لا يُقبل القياس عليه.» (المصدر نفسه: ١٠٤)  
«الأسلوب جزء من القراءة.» (المصدر نفسه: ٢٠١)  
«الأسلوب جزء من المكتوب.» (المصدر نفسه: ٣٧)

«الأسلوب خطاب لا يعترف بنظامه الخاص.» (المصدر نفسه: ١١٦)  
«الأسلوب لغة تخلق نظامها بعد أن لم يكن وتتحلّي به.» (المصدر نفسه: ١٠٤)  
«الأسلوب نظام غير معيارى يؤسس اللغة علي خلاف القاعدة ولا يعطى للنسق الذى يستخدمه ثباتاً قاعدياً ولا قوة معيارية.» (المصدر نفسه: ٩٨)

يشير الدكتور فتح الله أحمد سليمان إلى تعريف آخر للأسلوب، لا يخرج عن

التصورات التي عُرضت قبله وهو: «الأسلوب يعبرّ تعبيراً كاملاً عن شخصية صاحبه بل ويعكس أفكاره ويظهر صفاته الإنسانية، وهذا التعريف من زاوية ما يسميه المنشيء.» (أحمد سليمان، ١٩٩١م: ٩)

ثمّ يقدم تعريفاً آخر من زاوية النص الذي يعتمد على ثنائية اللغة، الثنائية التي تقسم اللغة إلى مستويين، مستوي اللغة وبُنيته الأساسية، ومستوي الكلام. والمستوي الثاني -مستوي الكلام- ينقسم إلى قسمين آخرين: الاستخدام العادي للغة والاستخدام الأدبي. (المصدر نفسه: ١٠)

كما مرّ في التعاريف السابقة فالأسلوب هو النظام، خطاب الرجل والشكل واللغة والتعبير عن شخصية صاحبه وجزء من القراءة أو ليس جزءاً من القراءة، بل من الكتابة وفراة النص واختيار وحدث لغويّ وحدث فكريّ ومن الطبيعي أن تتولّد من كل تعريف اتجاهات مختلفة.

### العلاقة بين الأسلوب والأسلوبية

مما لا شك فيه أنّ الأسلوب وما يعادل هذه الكلمة في اللغات الأخرى موغلة في القدم في مفهوم الإنسان ولغته ونشاطه في مختلف ميادين الحياة، فهناك "أسلوب" لكل نشاط، فمثلاً أسلوب في الكتابة والخطابة والقراءة وأسلوب في التفكير وأسلوب في الإدارة والسياسة ونحوها.

أمّا "الأسلوبية" فهي مصطلح حديث يدرس "الأسلوب" في اللغة حين يُمارسه الإنسان كلاماً ينطق به أو يكتبه، فإنّ تمتدّ الأسلوبية امتداد اللغة والأسلوب.

يقول الدكتور منذر عياشى: «... وما دامت اللغة ليست حكرًا عليّ ميدان إيصالى دون ميدان، فإن موضوع الأسلوبية ليس حكرًا -هو أيضًا- عليّ ميدان تعبيرى دون آخر.» (عياشى، لاتا: ٢٩)

ويقول الدكتور عدنان على رضا النحوى: «والأسلوبية هي "علم" كما يراها بعض الدارسين الغربيين، أو هي "نقد" أو "فلسفة" أو "نهج"، كما يراها آخرون تقترن دائماً بالأسلوب. فحيثما وجد أحدهما وُجد الآخر، فإنّ "الأسلوب والأسلوبية" (style and

stylistic) متلازمان.» (النحوى، ١٩٩٩م: ١٥٤)



يبدو مما سبق أنّ "الأسلوب" مفردة مستعملة في ميادين مختلفة عند القدماء ومنها الأدب، أما "الأسلوبية" فمصطلح حديث يدرس الأسلوب في اللغة حين يمارسه الإنسان كلاماً ينطق به أو يكتبه، فإذا تمتد الأسلوبية امتداد اللغة والأسلوب كما أشير. ويبدو أنها ولو لم تكن مستعملة عند القدماء، ولكن كلّ كاتب أو شاعر أو خطيب قديم يعرف بأسلوبه الخاص في نثره أو شعره أو خطابه، وإذن ليس مفهوم الأسلوبية إلا العلم بالأسلوب بغضّ النظر عن العوامل التي طرحت فيها في اتجاهاتها اليوم.

أمّا الدكتور أحمد سليمان فيعتبر الأسلوبية أحد مجالات نقد الأدب قائلاً: «الأسلوبية علم الأسلوب وهي دراسة النص ووصف طريقة الصياغة والتعبير وهي أحد مجالات نقد الأدب اعتماداً على بنيته اللغوية دون ما عداها من مؤثرات اجتماعية، أو سياسية، أو فكرية، أو غير ذلك. والأسلوبية هي أحدث ما تمخضت عنه علوم اللغة في العصر الحديث.» (أحمد سليمان، ١٩٩١م: ٩)

ويرى الدكتور صبرى مسلم: «إذا قلنا علم الأسلوب، فإننا نقرب من الأسلوبية حد الترادف، لأن الأسلوبية في بعض وجوهها متأثرة بالمنطق العلمي والنسق المنهجي، وهما من معطيات هذا العصر الذي يهيمن فيه العلم على كل شيء، ومن ذلك إنه يخضع الأسلوب للرؤية النهجية.» (صبرى، ٢٠٠٩م: www.26sep.net)

كما يتضح من القولين السابقين فإن الآراء حول تقديم تعريف عن الأسلوبية وعلاقتها بالأسلوب قد تباينت بين الأدباء غير أنّ هناك أشياء تجمع بين هذه الآراء كما هو واضح في الرأيين السابقين.

### الافتراق الرئيسى بين المواقف العلمانية والإسلامية في الميدان الأدبي

ومن المواضيع الهامة التي تستحق الدراسة، تفكيك المواقف الغربية العلمانية والإسلامية بالنسبة للأسلوب والأسلوبية.

ومما لا شك فيه أن هنالك منهجين مختلفين كلّ الاختلاف من حيث النظر والتصور للكون والحياة والإنسان وكذلك للغة ودورها، ومن ثمّ للأدب ومهمته ودوره، وأن كل تصور من هذين التصورين يقود إلى تصور خاص به بالأسلوب والأسلوبية.

وأهمية هذا الموضوع في واقع المسلمين اليوم تبرز حين تسلل الفكر العلمانيّ إلى العالم الإسلامي بكل أوجه نشاطه السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وكذلك الأدبي بميادينه المختلفة وكذلك دور اللغة ومنزلتها.

بتصفح صفحات التاريخ، يظهر جلياً أن هذه الفكرة ظهرت بعد الثورة الصناعية والتطور العلمي ظهورا في مسمّيين اثنين "العلمانية" بفتح العين مرادفها "secularism" أي عزل الدين عن الحياة في جميع ميادينها، والنظر إلى الحياة نظرة مادية كاملة وهي مأخوذة من كلمة "العَلْم" بمعنى العالَم وما حواه بطن الفلك و"العلمانية" بكسر العين مرادفها "scientism" من كلمة "العِلْم" بمعناه البشري وإخضاع كل شيء لعلم الإنسان وتجاربه، وكلاهما يدعو إلى عزل الدين عن ميادين الحياة، وعزل تصوّر الدار الآخرة والإيمان والتوحيد. (النحوى، ١٩٩٩م: ١٠)

ولقد طرحت "العلمانية" أو "العلمانية" تصورات مادية مختلفة في الفلسفة والفكر والأدب والنقد ومختلف ميادين الحياة.

لقد كان من أبرز معالم هذه الاتجاهات أنها اتجاهات مادية، تعزل الموضوع عن كل ما لا يرتبط به ارتباطاً مادياً، وتعزل الموضوعات كلّها عن "الغيب" وعن الدار الآخرة وعن الإيمان والتوحيد، وأخذت تعتبر العقل البشري مصدر كل فكر، والعلم الذي تبلغه هو الأساس الذي تقوم عليه الحياة، وكلما بلغ الإنسان نجاحاً جديداً في علم جديد، كان يغمره الفرح بعلمه هذا، وينسيه ضرورة التأمل الأوسع في الكون. وهذه الأوصاف تذكرنا بالآية الشريفة التالية: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (غافر: ٨٣)

وعندما عزلت العلمانية "الغيب" عن الحياة الدنيا وعن جميع ميادينها وجدت نفسها أمام تناقضات كثيرة تبدو لها، ووجد العلمانيون أنّهم كلّما نجحوا في حل مشكلة واحدة ظهرت أمامهم مشاكل جديدة، لم تكن ظاهرة ولم تكن تخطر ببالهم.

وكلّما سار الإنسان في هذا الكون مسافة امتدت أمامه آفاق أبعد وأوسع، وكلّما لم يَسِرْ إلا خطوات قليلة في مسافات لامتناهية.

ومن المعالم البارزة الأخرى لهذه الاتجاهات المتأثرة بالعلمانية، هي الرغبة في

إخضاع كل شيء للعلم، أو لما يسمونه "علما" وكان من بين ذلك الأدب، وما يتصل به. يري الدكتور عدنان النحوى كل مذهب من هذه المذاهب ردّ فعل للمذهب السابق، إذ يقول: «و حين نطالع هذه المذاهب، نجد أن هنالك خصائص واقعية تساعد علي فهم المذاهب والأحداث. فمن أهم هذه الخصائص أن كل مذهب كان يأتي ردّ فعل للمذهب السابق، ويهّد في الوقت نفسه لظهور مذهب جديد كردّ فعل له. وسبب ذلك هو أن معظم الفلاسفة ورجال الفكر والأدب نفصوا أيديهم من "الغيب" والدار الآخرة، وحقائق الإيمان والتوحيد. واعتمدوا التصورات البشرية التي لا تستطيع إلا أن تأخذ بجزء من الحياة.» (المصدر نفسه: ٢٠)

### أهمّ العناصر المتعلقة بالأسلوب الأدبي من القرآن الكريم

مما لا شك فيه، أن لكل أدب عناصره التي تبنيه وتبني جماله ونهجه. فما هو الأسلوب الأدبي من منظور القرآن الكريم؟ ولكي ندرس هذه العناصر في الأسلوب الأدبي من منطلق القرآن الكريم لابد من وقفة مع الأديب المنتج الذي يبذل هذا الأدب فهو الركن الأساسي في هذه العملية.

إذن يمكن أن نقسم هذه العوامل في مجموعات منها العناصر المتعلقة بالأديب المنتج وفطرته وذاته وآثارها الظاهرة فيه من إيمان وتوحيد، ونية وفكر وعاطفة، وموهبة وغير ذلك، والتفاعل الذي يتمّ بينها في فطرة الأديب والعناصر الخارجة عن الأديب والمؤثرة فيه كالبيئة والنشأة وتاريخها، والواقع الذي تولّد فيه الموضوع والنص من مكان وزمان وأحداث وما يترك ذلك من آثار في النفس والفطرة.

أما الدكتور النحوى فلا يكتفى بإعطاء الدور الأساسي للأديب فحسب، بل يولي اهتماما كبيرا بالنص الأدبي كجزء آخر من عملية الإبداع حيث يقسم العناصر المتعلقة بالنص إلى الصياغة الفنية، الموضوع الفني والفكرة الموحية، والجنس والشكل الأدبي والأسلوب. (م.ن: ٢٥٧)

فيما يلي يُدرس دور كل واحد من هذه العناصر ومدى تأثيرها في الأديب مستندا إلى الآيات القرآنية.

## ١. الفطرة

سواء أكان الأسلوب مرتبطاً بالأديب المنتج أم بالنصّ الفني أم بالمتلقّي فإنّه في جميع الحالات مرتبط بالموضوع الذي يطرقه الأديب ويحمّله النصّ، والموضوع في الحقيقة يخرج من الإنسان، من طاقته ووسعه ومن تفاعله مع الحياة. إنّه يخرج من إيمانه وعلمه وتجاربه ومن زاده الذي تحمّله فطرته مع ما تحمل الفطرة من قوي أخرى وطاقات وميول ورغبات أودعها الله في كيان الإنسان وخلقه وما نعرفه بالفطرة.

ماهي هذه الفطرة؟ إنها الفطرة التي فطر الله الناس عليها كما يقول الله عزّ وجل في كتابه الكريم:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٣٠)

ويمكن أن نعتبر الفطرة المستودع الذي يضم مختلف القوي والقدرات التي أودعها الله فيها. أو أن نشبهها بالبستان الذي يضم الغراس المختلفة والنوع الذي يروى هذه الغراس.

وقد أكد رسول الله (ص) في حديثه الشريف وجود الفطرة في كل مولود إذ يقول: «كلُّ مولودٍ يولدُ علي الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.» (الكليني، ١٣٦٥ش: أصول كافي)

وللفطرة بصورة عامة حالتان: فطرة سليمة سوية كما فطرها الله تبارك وتعالى، وفطرة سُوّهت بالآثام والمعاصي، وانحراف الأبوين أو تقصيرهما، وبتأثير مختلف قوى البيئة والمجتمع، فيما سمّيت بالفطرة الحاملة.

وبيّن لنا القرآن الكريم هاتين الحالتين في آياته المتعددة تشير منها إلى سورة الشمس حين يقول: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ١٠-٧)

فإذن أن الفطرة هي أساس التصور للإيمان والتوحيد، وأساس المنهج الإيماني للتفكير، وأساس التربية والبناء في الإسلام.

ومن الفطرة ومن تفاعل القوي العاملة والمستودعة فيها ينطلق عطاء الإنسان، و

يظهر من هذا العطاء الموضوع والنصّ الأدبي والأسلوب والأسلوبية. ومن هنا كانت حماية الفطرة أوّل حق للإنسان. إنها الحق الأول الأساسى الذى أغفلته الحضارة العلمانية، كما أشير ولم تلتفت بإغفاله بل أوجدت جميع العوامل التى تدمر الفطرة أو تشوّهها.

## ٢. الإيمان والتوحيد

إن أول طاقة أودعها الله فطرة الإنسان هي الإيمان والتوحيد. والآية الكريمة تشير إلى أن الفطرة هي الدين: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم: ٣٠)

وطبعا أساس هذا الدين هو الإيمان بالله والتوحيد. ويؤكد القرآن الكريم بأن الإيمان بالله ومعرفته وتوحيده أمر فطري في الإنسان كما يقول: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٥)

الإيمان والتوحيد هما ينبوعان الغنيان الصافيان اللذان يرويان جميع القوي والميول في الإنسان ربّيا عادلا متوازنا على أساس سنن الله. حتّى تؤدى كلّ طاقة دورها الحقيقى الذى خلقت له. وفي هذه الحالة تكون الفطرة سليمة والنفس سوية، ويصل الإنسان إلى الإفلاح كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (الشمس: ٩) فيصبح عمل هذه الطاقات "تقوى" أما إذا تعطل هذا النبع أو سُدّ أو استبدل به غيره فإن الرى ينقطع أو يفسد أو يضطرب ولا تروي الميول والقوي ربّيا متوازنا وعندئذ يكون انحراف الإنسان وخيبته كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ١٠)

ويصبح عمل هذه الطاقات المنحرف فجورا. فإذاذن من الله علي عباده جميعاً أن جعل الإيمان والتوحيد في فطرة كلّ إنسان، وجعله عهدا وشهادة وموثقا كما قال الإمام على (ع): «فبعث فيهم رُسُلَهُ وواتر إليهم أنبياءهُ ليستأدوهم ميثاق فطرتِهِ.» (نهج البلاغة: الخطبة الأولى)

## ٣. النية

النية في الإسلام ركن في الشعائر. وهي قصد التوجه القلبي إلى الله سبحانه وتعالى مع توافر العزم والتصميم ومع توافر الرؤية الواضحة للدرب والهدف، والوسيلة والأسلوب. فإذا منطلقها القلب المرتبط بالفطرة، فهي توفر تهيئة للنفوس بذلك قبل مباشرة العمل وتثبيتاً للصلة الخالصة مع الله. وهي في الحقيقة تهب النفس الطمأنينة والأمن. النية قضية يتفرد بها الإسلام. وهي الأساس الذي يجب أن يقوم عليه العمل حتى يُقبل عند الله، علي أن يكون العمل خاضعاً لله.

فعن رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم قال: «إنما الأعمال بالنيات والخواتيم.» (عابدينى مطلق، ١٣٨٧م: ١٢٦)

وهي وعى وإدراك للعمل الذي يُقبل عليه المؤمن مهما كان العمل، كلمة تقال أو أدبا يخطّه، أو فعلا يقوم به إنها تطرد الغفلة والارتجال، وتقوى العزيمة وصدق التوكل. «النية توفر الحوافز الإيمانية إلى المبادرة الذاتية، وتدفع المؤمن إلى أن يلتزم حدود الله، فلها دور عظيم في الأدب ودور قوى في الأسلوب... إنها القوة الدافعة للجمال الفنى، وهي التي تهب الموهبة طاقة الحركة والعمل، فتولد الحفقة في الجمال والدقة في العطاء. إن النية هي مفتاح ينبوع الإيمان والتوحيد ليروى النبع عندما تفتح النية جميع القوي العاملة في الفطرة ريباً متوازناً. (النحوى، ١٩٩٣م: ٢٣٧)

والنقطة الأولى اللاتقة بالذكر هي أن النية طاقة في كل إنسان إماً مؤمناً متقياً صالحاً وإماً فاسداً كافراً فاجراً. فالمؤمن الصادق تتجه نيته إلى الله سبحانه وتعالى وعلي وعى وعزيمة وتصميم. أما الكافر فتتجه نيته إلى الدنيا وشهواتها علي حذر وفتنة يُزين له الشيطان بها عمله حتى يحسبه وعياً، ثم تنكشف له الحقيقة ويذهب عنه الحذر وترفع عن عينيه الغشاوة إن عاد واهتدي، أو يوم القيامة: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق: ٢٢)

والنقطة الثانية اللاتقة بالذكر هي أن من الممكن أحياناً رؤية بعض مظاهر الخير في عمل رجل فاسد أو فاجر أو كافر. فلا يكون ذلك إلا من أثر البقية الباقية من الفطرة المشوهة، فيكون العمل غير مرتبط بالنية الصادقة لله، فلا يُقبل عند الله كما يقول القرآن

الكرِيم: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (الفرقان: ٢٣)

#### ٤. العقل والتفكير

إنَّ العقل طاقة في كيان الإنسان، والقرآن الكريم يعبرُ في كثير من آياته عن هذه الطاقة بالقلب أو اللب والذي نفهمه من ذلك أن القلب هو الذي يسيطر أو يغدَى سائر الأجزاء. كقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦)

والعقل حين يعمل يُطلق التفكير. والعقل والتفكير يمثلان قدرة الإنسان علي التأمل والتدبّر، والدراسة والبحث، وجمع المعلومات وتركيبها وتحليلها، والنظر والاستكشاف، والفهم والاستيعاب، والتنسيق، واتخاذ القرار والموقف.  
٥. العاطفة والشعور

العاطفة هي طاقة أُخري في الإنسان، إنها القوة التي تهَيِّء العين فتدمع، وتدفع القلب فيخفق، إنها تطلق الحنان أو القوة، والرحمة أو الغلظة واللطف أو الحشونة. (النحوى، ١٩٩٩م: ٢٢٤)

إنها طاقة في الإنسان لاتعمل وحدها، ولكنها تعمل مع سائر القوي في كيان الإنسان، وهى من أهم القوي التي تعمل معها طاقة العقل والتفكير. فحيننا تغلب طاقة التفكير، وحيننا تغلب العاطفة، وحيننا آخر تتوازنان.

#### ٦. الموهبة

هي طاقة خاصة متميزة يهبها الله لمن يشاء من عباده. والمواهب متعددة ومنها الموهبة الفنية الأدبية. وهذه الطاقة يختلف مستواها أيضا من رجل إلى رجل، ولكنها في جميع الحالات ترعي وتنمى بعض الطاقات في فطرة الإنسان. ويرعاها كذلك الإيمان والتوحيد ومن خلال هذه الرعاية التي تتم في ذات الإنسان وفطرته. (النحوى، ١٩٩٩م: ٢٥٣) في الحقيقة تطلق الموهبة التفاعل بين قوَى الفكر والعاطفة، لينطلق النصّ الأدبي الفنى الملتزم بالإسلام.

## ٧. الميول والرغبات

«لقد غرس الله في فطرة الإنسان ميولا ورغبات، منها الميل إلى الجمال والميل إلى الكشف عن الحقيقة، والرغبة إلى الإحسان والميل إلى الكمال.» (جمعي از نويسندگان، ١٣٦٧ش: ٦٩)

فالإنسان على أساس ميله إلى الجمال يميّز الجميل من غيره ويرجّحه، ويميل إليه سواءً أكان صورةً، أو فعلاً، أو نصّاً أدبياً، أو خلقاً طيباً، وإنه على أساس فطرته يميل إلى أن يكشف عن الحقائق ويصل إليها ويعترف بها في أي مجال كانت، وهكذا أنه يرغب أن يُحسّن إلى الآخرين قولاً وفعلاً، ويميل إلى الكمال ويبحث عنه ولأجل هذا لا يتوقف طول حياته عن كسب العلم والأدب والمعرفة.

ويرى على أساس فطرته التوقف والسكون سداً ورادعا للوصول إلى الكمال. فإذن إنه يميل إلى عبادة الله ومعرفته لأن الله تبارك وتعالى هو الكمال المطلق إلا أن الإنسان المسلم يري عبادة الله فرضاً على نفسه.

إن هذه الميول والرغبات ترتوى من نبع الإيمان والتوحيد حتى تؤدي المهمة التي خلقت له.

ولو لم يرتو بالإيمان والتوحيد والنية الخالصة فعندئذ تصاب الفطرة بالحمول. وعندما تصبح الفطرة خاملة فلا يميّز صاحبها الجميل من الكريه، ولا يكشف عن الحقيقة ولا يعترف بها، ولا يرغب إلى الإحسان، ولا فرق لديه عندئذ بين الإحسان والإساءة، ولا يبحث عن الكمال ويتوقف في طريقه إليه، وفي النهاية يفقد الطريق الصواب الذي كان يبحث عنه قبل حمول فطرته.

دور "المسؤولية" في الأدب المنتج من رؤية قرآنية

إنّ الأدب المنتج حسب الرؤية القرآنية نقصد به هنا الأدب الملتزم بالإسلام الذي يضع تعاليمه نصب عينه في كل إبداع أدبي. ومما ذكر يتبين أن الفطرة والعوامل المدروسة فيها، ليست هي كل الطاقات والتقوي التي وضعها الله في الإنسان الأديب، ولكن علي أساس الاعتقادات بالإسلام وأحكامه وأصوله، لا شك أنّ هذه العناصر أهمّ ما تُعرف في الإسلام، ولا شك أن هناك عناصر أخرى خفية نجعلها فيعطى الله الأديب المؤمن الملتزم



بل يُلهمه خلال خلقه للنصّ الأدبي. (النحوي، ١٩٩٩م: ٢٤٩)

وهناك عنصر آخر يليق بالذكر والدراسة تُسمّى "بالمسؤولية". وهي التي تجد دورها بعد منح العناصر والطاقات الأخرى للأديب، ولاسيما بعد عنصرين مهمين وهما "العقل والتفكير" و"الشعور والعاطفة" إن الإنسان لا يُترك بعد أن أعطاه الله هذه العناصر والطاقات، بل جعل الله له مسؤولية محدّدة في الحياة والمجتمع، حتى يُحاسب عليها يوم القيامة، وكان من أهمها مسؤولية الأديب عن كلمته وتعبيره.

كما يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٦)

وعلى هذا الأساس لا يُتوقع من الأعمى أن يري، ولا يُتوقع من المجنون أن يعقل ويفكر كعقل سليم، لماذا؟ لأن فاقد الشيء لم يكن معطياً له ولا يُسأل عمّا ليس له من القوة والطاقة. فعلى العكس يتوقع من البصير أن يرى والعقل أن يفكر، وهذا هو مسؤوليته بسبب الشيء الذي أعطاه الله إياه.

فإذن، المسؤولية قضية رئيسة في الإسلام، وفي الأدب الملتزم بالإسلام، وحسب الرؤية القرآنية وهذه من أهم نواحي الاختلاف بين النظرة الدينية والعلمانية في مختلف ميادين الحياة بعامة، وفي ميدان الأدب والأسلوب والأسلوبية بخاصة.

الأدب الملتزم بالإسلام في الحقيقة تابع من الإنسان المؤمن، مرتبط به ملاصق له. فهو مسؤول عن كلمته ومحاسب عليها.

أمّا النقطة اللائقة بالذكر، فهي أنّ مستوي المسؤولية تختلف في كل إنسان، فتؤثر فيها العوامل المختلفة منها الظروف والبيئة ونحوهما، فمثلاً مسؤولية الإمام تختلف عن مسؤولية المأموم في المجتمع، كما أنّ مسؤولية المعلم تختلف عن مسؤولية التلميذ في الصف. فإذن، لكل أديب مؤمن مسؤولياته الخاصة التي تقتضيها القوي والطاقات التي وهبها الله له.

ولادة الموضوع الأدبي وموضع الأسلوب فيه من وجهة نظر قرآنية  
في دراسة الاتجاهات الغربية والعلمانية للأسلوبية يبدو أن بعضهم يري أن الموضوع

الأدبي هو ثمرة تجربة شعورية فحسب، فيركزون تركيزاً شديداً علي الناحية الشعورية حتى كأنها هي العنصر الوحيد المولّد للأدب وموضوعاته. ويرى آخرون أن العقل والفكر والحكمة مصدر الأدب وموضوعاته، ويُغفلون الشعور والعاطفة إغفالاً كبيراً. ويرى آخرون أن الواقع وحده مصدر الأدب وموضوعاته. (النحوى، ١٩٩٤م: ٢٤٨) وبالرجوع إلى الفكر والفلسفة والأدب منذ اليونان حتى العصر الحاضر، يُثبت أن مسيرة ذلك كلّ كانت تعتمد جزئية تحسبها هي الحق الشامل، أو تجعلها الحق الشامل. والجزئية نفسها من تصور بشري مجزوء لا يعتمد علي التصور الشامل.

يرى الدكتور النحوى أنّ الموضوع هو القضية التي يعرضها النصّ الأدبي من خلال الصياغة الفنية وسائر العناصر الفنية الأخرى واصفاً له في الأدب الملتزم في الإسلام وصفاً جامعاً إذ يقول: «الموضوع في الأدب الملتزم بالإسلام ممتد امتداد الحياة والكون، ويتجاوز الحياة الدنيا إلى الآخرة، إنه يدخل أغوار النفس البشرية، وآفاق الكون وميادين الحياة، وبيحث ويتأمل ويتدبّر، يصف ويروي ويعظ، ينصح ويوجه، يقوّ ويدعم الحق ويمجاهد ضد الباطل، ليري في كل ميادينه آيات الله البيّنات... إنه تفاعل المؤمن مع الحياة والواقع من خلال إيمانه ورسالته.

وكان من رحمة الله أن جعل للمؤمنين النموذج الأعلى، النموذج المعجز المتمثل في الوحي المتنزل من عند الله على محمد(ص)، قرآناً عربياً غير ذى عوج، معجزاً لا يستطيع أحد من الإنس والجنّ أن يأتي بمثله، ميسراً للذكر حتى يسهل علي كل إنسان آمن واهتدي وعرف العربية أن يتلو كتاب الله ويتدبّره ليمارسه في الحياة الدنيا، حتى كانت ممارسة منهاج الله في الواقع البشري هي محور الأمانة التي يحملها الإنسان، وأساس الخلافة في الأرض، وجوهر العبادة في الحياة الدنيا، ومعنى عمارة الأرض بحضارة الإيمان وساحة الابتلاء والتمحيص الذي كتب الله علي بنى آدم. فمنهاج الله ودراسته وتدبره يفتح للإنسان آفاق الكون وميادين الحياة ليتولد الموضوع الأدبي في فطرة المؤمن، في قلبه وعقله وأعصابه وكيانه كله ليخرج الموضوع الصادق من أعماق أعماق نفسه.» (المصدر نفسه: ٢٤٩)

فإذن الموضوع الأدبي في الإسلام هو ثمرة الإنسان المؤمن مع الحياة من خلال إيمانه

ورسلاته التي يحملها في الحياة الدنيا، وإن هذا التفاعل بين الإنسان والحياة يستغرق فطرة الإنسان والقوي والطاقات العاملة فيها. فإذا تكوّن الموضوع في نفس الإنسان علي أساس هذا التفاعل، فإن القوي تعمل لتطلقه نصًا مستكملا عناصره وخصائصه، مستفيدا من كل العوامل المؤثرة في حياة الإنسان، سواء أكانت ذاتية داخلية، أو كانت خارجية مكتسبة.

من بين القوى والطاقات التي ذُكرت سابقا فإنّ عوامل مثل "العقل والتفكير" و"العاطفة والشعور" تتميز بأهمية خاصة في بناء النصّ الأدبي.

ولإيضاح دور هاتين الطاقين في بناء النصّ الأدبي يمكن تشبيههما بالقطبين، وتشبيه الأحداث والتجارب التي يمرّ بها الإنسان بالشحنات الكهربائية التي تستقرّ علي هذا القطب أو ذاك، مع مسيرة الحياة تزداد التجارب، فتزداد الشحنات علي القطبين. ثمّ تظل شحنات الزاد من العلم واللغة والتجارب والأحداث تتجمّع علي قطبي الفكر والعاطفة، حتى تأتي اللحظة المناسبة بقدر من الله سبحانه وتعالى، فيصبح معها طاقتنا الفكر والعاطفة، وما تحمّلان من شحنات مستعدّتين للتفاعل بينهما، فتتحرك الموهبة في تلك اللحظة، وتحرّك التفاعل، وتُطلق من التفاعل الومضة والشعلة نصًا أدبيا مستكملا خصائصه الفنية والإيمانية. (المصدر نفسه: ٢٥٢)

إذن فإنّ الإنتاج الأدبي والنصّ الفني، بكامل خصائصه الإيمانية والفنية، هو نتاج هذا التفاعل في ذات الإنسان، وفي فطرته، بين طاقتين رئيسيتين هما الفكر والعاطفة، أو العقل والتفكير والشعور والإحساس وكما ورد آنفا يساهم في هذا التفاعل القوي والطاقات والميول التي أودعها الله في فطرة الإنسان.

هناك سؤال آخر وهو مبدئية بناء الأسلوب في الإنتاج الأدبي والنصّ الفني.

يرى الدكتور النحوى أن الأسلوب يتبدى مع أول خطوة يخطوها الأديب في

الصياغة الفنية قائلا في وصفها:

«فالصياغة الفنية هي اختيار اللفظة، وربط اللفظة باللفظة، والتعبير بالتعبير، ثمّ الفقرة بالفقرة، أو بيت الشعر ببيت الشعر، أو الصورة بالصورة، والحركة بالحركة، والنغمة بالنغمة، حتى يتكامل النصّ الفنّي، ويتكامل المشهد بجميع ألوانه وصورته وجرسه،

وتبتديء الصياغة الفنية بالكلمة، وللكلمة أربع خصائص توفر لها القدرة على الدخول في الصياغة الفنية. هذه الخصائص الأربع هي:

- المعنى المعجمي.

- الظلال المكتسبة من تاريخ استعمالها وتاريخ اللغة.

- قوة الارتباط من لفظة سابقة ولفظة لاحقة.

- ثم الجرس والنغمة.

لتكون اللفظة بذلك لبنة إلى لبنة ليقوم النصّ الفني بتكامله، فالكلمة بخصائصها الأربع المتناسكة تساهم في الصياغة الفنية ونجاح الأديب يبرز في اختيار الكلمة التي تجمع هذه الخصائص الأربع لكلمة أخرى حتى تتكامل الصياغة. من هنا يبدأ بناء الأسلوب، ويبدأ الأسلوب عمله. إنه يبتديء باختيار الكلمة بخصائصها الأربع. إذن فإنّ الأسلوب يبتديء في نفس اللحظة التي يبتديء فيها بناء النصّ الأدبي ويمضي معه، ويتكامل الأسلوب حين يتكامل النصّ الأدبي.» (النحوي، ١٩٩٤م: ١٠٣)

وهنا على أساس ما ذكر من العناصر المتعلقة في ذات الأديب وفطرته، إن هذا التفاعل والبناء يتم في داخل الإنسان، في ذاته من خلال شبكة ممتدة في كيانه كله، لتكوّن هذه فطرته التي فطره الله عليها والقوي العامل فيها. إذن فإنه عمل واع لا يمكن أن يكون بطريقة لاشعورية، إنه عمل واع لأن النية عامل من عوامل بنائه، ولأن الفكر والشعور عاملان رئيسيان، تستقر عليهما شحنات الواقع والنشأة والأحداث والتجارب. إنه عمل واع لأن الأديب مسؤول ومحاسب علي كلمته. فلا يكون في اللاواقع ولا في الغيبوبة والسكر والحذر، والشهوة المجنونة والهوي الغالب. إنه عمل الإيمان والتوحيد الذي يجعل كل كلمة عبادة، وكل عبادة خشوعاً، وكل خشوع حافزاً لانطلاقة وعمل، وسعى وبذل، وكل ذلك خاضع للمسؤولية والحساب. وعلي هذا الأساس يكون لكل قوة عاملة في هذه الشبكة الممتدة في كيان الإنسان وفطرته دور في بناء "الأسلوب" في النصّ الأدبي.

## النتيجة

١. الموضوع الأدبي في الإسلام هو ثمرة الإنسان المؤمن مع الحياة من خلال إيمانه

ورسائله التي يحملها في الحياة الدنيا، وإن هذا التفاعل بين الإنسان والحياة يختص فطرة الإنسان والقوي والطاقات العاملة فيها. إذن فإن الإنتاج الأدبي والنصّ الفني، بكامل خصائصه الإيمانية والفنية، هو نتاج هذا التفاعل.

٢. مع ولادة الموضوع والنصّ يُؤلّد "الأسلوب" فيكون الأسلوب جزءاً من النصّ الأدبي الفني، داخلاً في نسيجه وبنائه، لا ينفصل عنه. وهو عنصر أساسي من العناصر الستة المتشابكة التي تبني الأدب من المنظور القرآني والأحاديث الشريفة، وهي الإنسان والعقيدة والموضوع الأدبي والصياغة الفنية والجنس الأدبي والأسلوب.

٣. هناك ارتباط وثيق بين الأسلوب والأسلوبية. فهما متلازمان عادة غير أنّ هناك فوارق بينهما تتجلى في كون الأخيرة علماً، وليس ذلك ينطبق على الأسلوب. كما أنّ هناك فوارق أخرى وردت الإشارة إليها في ثنايا البحث.

٤. إن أهم عنصر من عناصر الأسلوب الأدبي من منظور القرآن الكريم هو الفطرة والإيمان والتوحيد ويمكن اعتبار الفطرة المستودع الذي يضم مختلف القوى والقدرات التي أودعها الله منها كما أن الإيمان بالله والتوحيد هو الطاقة الأساسية التي وضعها الله في فطرة الإنسان.

٥. إن لنية الإنسان الدور الأكبر في أسلوبه الأدبي. فالنية في الإسلام هي ركن في شعائر وهي بهدف التوجه القلبي إلى الله سبحانه مع توافر العزم والرؤية الواضحة للهدف.

٦. العقل هو عنصر آخر من عناصر الأسلوب من منطلق القرآن الكريم وثمرته التفكير والتأمل والتدبير.

٧. إن ما ذكر من عناصر الأسلوب إذا ائتلف مع عاطفة الإنسان وشعوره وعملت مع سائر القوى في كيان الإنسان يحدث التوازن في الأسلوب الأدبي خاصة عندما تجتمع العاطفة مع العقل.

٨. تتميز الموهبة بكونها غير مكتسبة فهي هبة من الله لمن يشاء من عباده وهي متعددة ومن أهمها الموهبة الفنية الأدبية وهي التي تميز الأسلوب من إنسان إلى آخر.

٩. إن سيطرة الإنسان على ميوله ورغباته وتسخيرها في سبيل الهدف الإلهي الذي

يسعى إليه الإنسان المؤمن تنعكس بشكل مباشر على أسلوب الأديب.  
١٠. إن دور المسؤولية أهم من بقية العناصر المذكورة. فإن الأديب المنتج حسب الرؤية القرآنية يقصد به الأديب الملتزم بالإسلام الذي يرى نفسه مسؤولاً أمام كل ما ينتجه ويبدعه، وبذلك نرى أهمية هذا العنصر في الأسلوب الأدبي عند كل أديب ملتزم بالإسلام.

## المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- ابن خلدون. (١٣٢٧ق). مقدمة ابن خلدون. لامك: طبعة مصر.  
ابن منظور. (١٩٨٨م). لسان العرب. بيروت: دار إحياء التراث العربي.  
أحمد سليمان، فتح الله. (١٩٩١م). الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية. لامك: الدار الفنية للنشر والتوزيع.  
أنيس، إبراهيم؛ منتصر، عبدالحليم؛ الصوالحي، عطية؛ أحمد، محمد خلف الله. (١٣٦٧ش). المعجم الوسيط. الطبعة الثالثة. لامك: مكتب نشر الثقافة الإسلامية.  
الجرجاني، عبد القاهر. (١٩٨١م). دلائل الإعجاز. بيروت: دار المعرفة.  
جمعي از نويسندگان. (١٣٦٧ش). معارف اسلامي (١). چاپ پنجم. طهران: سازمان (سمت).  
خليل، إبراهيم. (١٩٩٧م). الأسلوبية ونظرية النص. بيروت: مؤسسة العربية للدراسات والنشر.  
خليل، إبراهيم. (٢٠٠٢م). في النقد والنقد الألسني. عمان: عاصمة للثقافة العربية.  
البيدي، محمد مرتضي الحسيني. (١٩٦٧م). تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق عبد الكريم الغرباوي. بيروت: دار الهدية للطباعة والنشر والتوزيع. الزرقاني، محمد عبد العظيم. (١٤٠٨ق). مناهل العرفان. بيروت: دار الفكر.  
الزيات، أحمد حسن. لاتا، دفاع عن البلاغة.  
الشايب، أحمد. (١٩٤٥م). الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب العربية. مصر: مكتبة النهضة المصرية.  
الطوسي، أبو جعفر محمد ابن الحسن. التبيان في تفسير القرآن. بيروت: دار إحياء التراث العربي.  
عابدين مطلق، كاظم. (١٣٨٧ش)، مجموعه ي كبير، نهج الفصاحة، نشر فراگفت، چاپ پنجم.  
عياشي منذر، لاتا. مقالات في الأسلوبية. سورية: منشورات اتحاد الكتاب العرب.  
فضل صلاح، (١٩٩٨م). علم الأسلوب، مبادئة وإجراءاته. ط١. القاهرة: دار الشروق.  
الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. (١٤١٩ق). القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة،

ط٦.

الكليني، محمد بن يعقوب. (١٣٦٥ش). أصول الكافي. تهران: دار الكتب الإسلامية.  
الموسوي، أبو الحسن محمد بن الحسين، (١٣٨٧ق) المعروف بالشريف الرضي. نهج البلاغة، ضبط نصّه  
وابتكر فهرسه العلمية الدكتور صبحي الصالح. ط١. بيروت: دار الكتاب اللبناني.  
النحوي، عدنان علي رضا. (١٩٩٩م). الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام.  
ط١. لامك: دار النحوي للنشر والتوزيع.

النحوي، عدنان علي رضا. (١٩٩٤م). الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته. ط١. دار النحوي  
للنشر والتوزيع.

النحوي، عدنان علي رضا. (١٩٩٣م). النية في الإسلام وبعدها الإسلامي. ط٣. لامك: دار  
النحوي للنشر والتوزيع.

المواقع الإلكترونية

السنانى، بندر مبارك. مقال تحت عنوان «الأسلوبية العربية والبلاغة العربية». الموقع

[WWW.merbad.net/vb/showthread.php](http://WWW.merbad.net/vb/showthread.php)

صبرى، مسلم. مقال تحت عنوان «هل الأسلوبية مدرسة أو منهج نقدي». الموقع ([www.26sep.net](http://www.26sep.net))



پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی  
پرتال جامع علوم انسانی